

أسرع في إخراج محصوله فأدرك الأسعار في غلائها ربح الأرباح وصار في رغد من العيش وهذه النعم لا نجد لها في تلزيم بدلات الأعشار وكفى بذلك عبرة.

شكري العسلي

### عبث الوليد

أبو تمام حبيب الطائي وأبو الطيب أحمد بن الحسين المتبي وأبو عبادة البحراني هم الشعراء المعول على شعرهم في المولدين جمعوا إلى جزالة الألفاظ وحسن السبك معاني الحضارة وأساليب الحكمة ولذلك كانت دواوينهم من جملة ما يقضي على طالب الأدب أن يتدارسها ويستظهرها وكانت مما أوصى بعلمه ضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر كل مشغل بالمنظوم والنشور لأنها حوت عامة المزايا اللغوية والأدبية. ومن أجل هذا ترى هذه الدواوين قد خدمت أجل خدمة منذ القدم ولا سيما ديوان أبي تمام وديوان أبي الطيب فنظر فيهما مشاهير اللغويين والعلماء وتعاورتهما الأقسام بالشرح والنقد إلا ديوان أبي عبادة البحراني لم نسمع بأن أحداً من العلماء تصدى لنقده غير أبي العلاء المعري.

فإن هذا العلامة الحكيم اللغوي أبي أن يغفل كلام البحراني من وضعه على محك انتقاده بعد أن ألف في ديوان الطائي والتبي كتابين مستقلين دعا الأول ذكرى حبيب والثاني معجز أحمد - فألف في الثالث كتاباً سماه عبث الوليد قال في مقدمته: أثبت ما في ديوان البحراني ما أصلح من الغلط الذي وجد في النسخة المكتوب في آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العجلي وإنما أثبت ذلك ليكون مولاي الشيخ الجليل أدام الله عزه كأنه حاضر للقراءة ولم يمكن إثبات جميع الأغلاط لأن أكثرها غير محيل وقد

وُصل بذكر شيء مما جرى إليه أبو عبادة من الضرورات وما يجنبه أمثاله وبالله التوفيق.

قال أبو العلاء في الكلام على قول أبي عبادة:

إذا تشاكنت الأخلاقى واقتربت ... دنت مسافة بين العجم والعرب

إذا وقعت بين في هذا الموقع فالاختبار خفضها وكذلك ترفع إذا وقعت في موقع وقع  
كما جاء في الكتاب العزيز لقد تقطع بينكم أكثر القراء على الرفع ويجوز نصب  
فقال قوم يكون الاسم مضمراً كأنه قال لقد تقطع الرصل بينكم وقال قوم يضمر ما  
كأنه قال لقد تقطع ما بينكم وحسن حذف ما ههنا كما حسن حذف لا إذا قيل والله  
أفعل أي والله لا أفعل قال امرؤ القيس:

كلاً يمين الإله يجمعنا ... شيء وإخواننا بني جُشما

أي لا يجمعنا. وهذا البيت ينشد بـخفض بين ونصبها.

بيديروني عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

فالخفض على الإضافة والنصب وعلى تقدير ما

وقال المرعي في مكان آخر: وكان في النسخة هذه الأبيات التي أولها:

يا أمنا أبصري راكم ... يسر في مسحنفر لاحب

والأبيات الثلاثة منها مذكورة في أمالي قوم من العلماء المتقدمة ويجوز أن يكون غلط بها  
على أبي عبادة فنسبت إليه أو ظنها بعض الناس من شعر العرب فألحقها بما يحكى  
عنهم والبيت الثالث الثابت في هذه النسخة لا يوجد في الحكاية المتقدمة وقد اختلف  
في أشياء من هذا الجنس وربما حسد بعض فنسب شعره إلى المتقدمين ليكاد بذلك  
وينقص من قدره. وحكى بعض الكتاب أنه رأى كتاباً قديماً قد كتب على ظهره  
أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب من الجآذر في زبي الأعراب. وذكر خمسة أبيات من أول

هذه القصيدة وهذا كذب قبيح وافتراء بين. وإنما فعله مفرط الحسد قليل الخبرة بمنظن الصواب غرضه أن يلبس على الجهال. وقد رويت أبيات أبي عبادة التي في صفة الذئب لبعض العرب ويجب أن يكون ذلك كذباً مثل ما تقدم في حديث البائية التي لأبي الطيب. وقد نسبوا الأبيات التي في صفة الذئب إلى عبد الله بن أنيس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بني الترك راشد بن وبرة ولا ريب أن ذلك باطل والرواية التي يرويها أصحاب اللغة يميئون بالبيتين الأولين فيجعلونها من قول الجارية ثم يقول فأجابتها أمها:

الحصن أدنى لو تأيته

على أن هذه الأبيات بعيدة من نمط أبي عبادة وإن كان الشاعر المغزر يجوز أن يأتي بكل فن من القول.

وقال المعري في الكلام على بيت البحري الذي هو:

والحدود الحسان يهوى عليها ... جلتار الربيع طلقاً وورده

جلتار من أطراف كلام العامة وليس هو اسماً موجوداً في الكلام القديم ويجب أن يكون المراد به جل نار أي ما عظم من الجمر ثم كثر في كلام العامة حتى جعلوه كالاسم الواحد وأجروه مجرى الأسماء العربية غير المركبة. والشعراء والمولدون يعربون الراء فيقولون كأنه جلتار ورأيت جلتاراً ولو أضافوه وقالوا جل نار لكان أقيس ولو أنهم جعلوه بمنزلة حضرموت لوجب أن يقول هذا جلتار ورأيت جلتار ومررت بجلتار فلا يصرفون ولم يأخذوا به في هذا المنهاج بل أدخلوا عليه الألف واللام فقالوا الجلتار واجتروا على توحيده فقالوا جلتارة فأجروه مجرى تمر وتمرّة وقال بعض المحدثين:

غدت في لباس لها أخضر ... كما تلبس الورق الجلتار

ولا أعلم هذا الاسم جاء في شعر فصيح وإنما هو لفظ محدث وكأنه في الأصل جاء على معنى التشبيه شبهوا حمرة بحمرة الجمر وهو جل النار ثم تصرفوا فيقله وتغيروه وقالوا في تسمية الطعام الفارسي نيرباج وزعموا أن نير بالفارسية رمان وفارس تنطق بالياء كأنها ألف والألف كأنها ياء فيجوز أن يكون نار في جل نار من هذا النحو فكأنهم أرادوا جل الرمان ويجوز أن يكون جل بلسانهم في غير هذا المعنى على أن لغتهم اختلطت بالعربية وصارت فيها حروف كثيرة من كلام العرب وهم يسمون الفارسية الخالصة الفهلوية والذين يتكلمون بها اليوم قليل تفتقر إليهم الملوك في تفسير سير المتقدمين.

وقال في كلامه على بيت:

أسند صدور العملات بوقفة ... في المثلثات كأنهن المسند

أشبه ما يجعل المسند ههنا أن يكون في معنى خط حمير لأن مذهب الشعراء في ذلك معروف وإياه قصد أبو عباد كما قال ذؤيب:

عرفت الديار كرقم الدواة يزبرها الكاتب الحميري

وكانوا يسمون خطهم المسند وسموا هذا الخط العربي الجزم لأنه جزم من ذلك الفن أي قطع وقد يحتمل أن يعنى بالمسند الحديث المسند أي هذه المنازل قد صار حديثاً يذكر.

وقال في الكلام على بيت:

يفضون دون الاشتيام عيوفهم ... فوق السماط للعظيم المؤمر

الاشتيام كلمة لم يذكرها المتقدمون من أهل اللغة فإذا مثل من ركب البحر عنها قال البحرىون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام فإن كانت هذه الكلمة عربية فهي الافتعال من شام البرق لأن رئيس المركب يكون عالماً بشؤون

البروق والرياح ويعرف من ذلك ما لا يعرفه سواء فكأنه سمي بالمصدر من اشتقاق كما قيل رجل زور وهو مصدر زار ودفن وهو مصدر دنف وفي البحر سمكة تعرف بالاشتياق وهي عظيمة ويجوز أن يكون سميت برئيس المركب كأنها رئية السمك وإذا أخذ بهذا القول فهزمة الاشتياق همزة وصل وإن صار في البيت زحاف قد جرت عادته باستعمال مثله وإن كان الاشتياق كلمة أعجمية فألفه ألف قطع كألف إبريسم وإبرهيم ونحو ذلك. وقال في قوله:

إن أتبع الشوق أزرأً عليه فقد ... جافى من النوم عن عيني ما جافا

قوله أزرأً عليه رديءٌ وإنما المعروف أزريت به وزريت عليه وقد عابوا على ابن دريد قوله في رسالة الجماهرة إلى الأزرأ على علمائنا وقد حكى بعض أهل اللغة أزريت عليه وليس بمعروف وإنما الفصح أزرى به كما قال الأعشى:

فإن تعهدي لامرئٍ ملءٌ ... فإن الحوادث أزرى بها

ومثل هذا ما صححه للبحري في قوله: إذا استقته جرد الحيل فقال أنها غير مستعملة وإنما المعروف إذا استقلت به ويقولون استقل القوم إذا ساروا غير معد وإنما أراد بقوله استقته أفته ولو قال أفته لاستقام الوزن ولعل أبي عبادة كذلك قال: كما أنكر عليه لفظة البرطيل الذي تستعمله العامة في معنى الرشوة وقال أنه لا يعرف في الكلام القديم وكذلك وردت لفظة الأطروش في شعر البحري فأنكرها المعري وقال أنه لا أصل لها في العربية وقال في:

أحواله للرسامين بفارس ... وجدوده للبعين بموكل

يروى للرسامين على الجمع وكذلك البعين ويروى بالثنية والجمع أشبه لأنه قال أحواله فجمع وكذلك قال جدوده فإن تكون الأحوال والجدود للملك كثيرة أشبه من أن تكون للملكين وموكل اسم موضع باليمن ويقال أنها دار مملكة جهم وهو مفتوح الميم

والكاف وكذلك نقل أهل اللغة وكان أبو عمرو والزاهد يقول الموكل قبة الملك فإن كان ذلك شيئاً قديماً سمعه فقد يجوز أن يكون حمل على أن هذا الموضع يقال له موكل وهو مقر مملكة القوم والذي يتهم به أبو عمرو يتخرج كثير منه على هذا النحو وكان قبة الملك تسمى موكلاً لأنه يقعد فيها ويكل أمره إلى الخدم والحشم وقدم هذه البلاد رجل من أهل نجران ممن يسكن في البادية فصيح ينتمي إلى زبيد من مذحج فسمع فتى في المكتب ينشد هذه القصيدة فلما انتهى بموكل كسر الكاف فقال النجراني موكل وكذلك حكاه أهل العلم.  
وقال في كلامه على:

و كنا نرى بعض الندى بعد بعضه ... فلما انتجعناه دفعنا إلى الكلى

كان المتعلمون من أهل العلم ينكرون إدخال الألف واللام على كل وبعض وروى الأصمعي أنه قال كلاماً معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً إلا في موضع واحد وهو قوله: العلم أكبر من أن يحاط ب كله فخذوا البعض وكان أبو علي الفارسي يزعم أن سيويه يميز إدخال الألف واللام على كل لا أنه لفظ بذلك ولكنه يستدل عليه بغيره والقياس يوجب دخول الألف واللام على كل وبعض وقد أنشد بعض الناس قول سحيم عند بني الححاش:

رأيت الغني والفقير كليهما ... إلى الموت يأتي الموت للكلى معمدا

هذه نموذجات من كتاب عبث الوليد وقد وقع في ٩٤ ورقة وحوى فوائد لغوية وأدبية قلما يعثر عليها في الكتب المتداولة وقد جاء في آخره تم الإملاء المعروف بعث الوليد وهذه الصمة موقوفة بين أمرين أحدهما أن يراد عبث الوليد الذي هو البحثري والآخر أن يعني الوليد الذي هو الصبي وكون الرجل سمي بالوليد يحتمل هذه التسمية.

وصف الأسطول